تذكرة الأبرار بالحجّة والنار

جمع وترتيب وتحقيق
أحمد فريد

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٤٧٩٠٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْفُرُورِ ۗ ﴾ .

[آل عمران : ١٨٥]

★ ★ ★

وقال النبي ﷺ :

« الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » .

رواه البخارى (٣٢١/١١) الرقاق عن عبدالله بن مسعود ورواه

أحمد (٤٤٢/٤١٣/٣٨٧/١) .

★ ★ ★

وقال النبي ﷺ :

« ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها » .

رواه الترمذى بإسناده حسن لغيره ، وانظر السلسلة الصحيحة للألبانى (رقم ٩٥٣) .

★ ★ ★

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة (نسأل الله حسن الخاتمة)
	النار :
١٤	صفة جهنم وأهوالها وأنكالها
١٦	عمق جهنم وشدة حرها
١٨	طعام أهل النار
٢٠	شراب أهل النار
٢١	ملابس أهل النار
٢٢	أسرة أهل النار
٢٣	عظم أهل النار وبشاعة منظرهم
٢٣	فصل في ذكر بعض ألوان العذاب
٢٥	عذاب أهل النار المعنوى
	الجنة :
٢٩	صفة الجنة وأصناف نعيمها
٣٣	فصل في بيان صفة أبواب الجنة ودرجاتها وأبنيتها
٣٦	طعام أهل الجنة
٣٨	شراب أهل الجنة
٤٠	ثياب أهل الجنة
٤١	صفة أهل الجنة
٤٢	أدنى أهل الجنة منزلة
٤٣	نساء الجنة
٤٦	شعر للإمام ابن القيم

مقدمة

نسأل الله حسن الخاتمة

الحمد لله الذى أسكن عباده هذه الدار ، وجعلها لهم منزلة سفر من الأسفار ، وجعل الدار الآخرة هى دار القرار ، فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار ، ويرفق بعباده الأبرار فى جميع الأقطار ، وسبق رحمته بعباده غضبه وهو الرحيم الغفار ، أحمدته على نعمه الغزار ، وأشكره وفضله على من شكر مدرار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبى المختار ، والرسول المبعوث بالتيسير والإنذار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بركاتها بالعشى والإبكار .

أما بعد :

فمن تأمل أحوال السابقين من أمة سيد المرسلين وجددهم فى غاية الطاعة لله عز وجل والكف عن معصيته وهم مع ذلك فى غاية الخوف والإشفاق والحذر من الله عز وجل وعظيم عقابه وأليم عذابه .

كان ثابت البنانى يستوحش لفقد التعبد بعد موته فيقول : يا رب .
إن أذنت لاحد أن يصلى فى قبره فأذن لى .

ملأوا الحياة عبادة وطاعة لله عز وجل وتمنوا أن يواصلوا العبادة بعد الموت ؛ من حبههم لله عز وجل ورغبتهم في طاعته وطمعهم في رضاه ، وكثير مع ذلك خوفهم وبكاؤهم حتى أشفقوا من فقد البكاء والخشية بعد الموت وتمنوا لو وجدوا من يبكي عنهم بعد وفاتهم .

كان يزيد الرقاشي يقول في بكائه : يا يزيد من يبكي بعدك لك ، ومن يترضى ربك عنك .

ودخلوا على الجنيد عند الموت وهو يصلى قال : الآن تطوى صحيفتى .

قيل لأبي بكر النهشلي وهو في الموت : اشرب قليلا من الماء . قال : حتى تغرب الشمس .

قرىء على أحمد بن حنبل في مرضه أن طاووساً كان يكره الأئين فما أن مات .

ياديار الأحباب أين السكان ، يا منازل العارفين أين القُطَّان ، يا أطلال الوجد أين أين البنيان .

لا تُعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ
لَيْسَ السَّلِيمُ إِذَا مَشَى كَالْمَقْعِدِ

حسبك أن قوماً موتى تحيي بذكرهم النفوس ، وإن قوماً أحياء تقسو برؤيتهم القلوب ، سلام الله على تلك القبور ، ورضوان الله على حشو تلك اللحود .

أماكن تعبدهم باكية ، ومواطن خلواتهم لفقدهم شاكية ، زال التعب وبقي الأجر ، ذهب ليل النصب وطلع الفجر .

إِنْ كُنْتَ تُنُوخُ يَا حَمَامَ الْبَانِ
لِلْبَيْنِ فَأَيْنَ شَاهِدُ الْأَحْزَانِ
أَجْفَانِكَ لِلدَّمُوعِ أَوْ أَجْفَانِي
لَا يُقْبَلُ مُدَّعٍ بِلَا بُرْهَانِ

ومن تأمل أحوالنا من قسوة القلوب وقلة تقواها ، وغلبة التكاثر عن الطاعات والزهد في القربات وقلة التورع عن المحرمات ، وتفكر بعقله وقلبه أليس الإسلام هو الإسلام ؟ والقرآن هو القرآن ؟ فما بال أحوالنا لاتوافق أحوال السلف الكرام ، وإنما ينطبق علينا قول القائل : .

يامن إذا تشبه بالصلحين فهو عنهم متباعد ، وإذا تشبه بالمدنبيين فحالهم وحالهم واحد ، يامن يسمع مايلين الجوامد وطرفه جامد وقلبه أقصى من الجلامد ، إلى متى تدفع التقوى عن قلبك وهل ينفع الطرق في حديد بارد .

فما هي الآفة فينا حتى فارقت أحوالنا أحوالهم ، وباينت أعمالنا أعمالهم ؟ هل الآفة هي عدم الإيمان !!! كلا والله نحن مؤمنون بالله عزوجل واليوم الآخر .

فما هي الآفة إذن ؟ .

الآفة هي ضعف الإيمان بالله عزوجل واليوم الآخر ، والإيمان إذا ضعف لا يدفع العباد إلى الطاعات ولا يحجزهم عن المعاصي ، قال النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » (١) .

والمعاصي لاتنافي أصل الإيمان كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابي الذي لعن من كان يشرب الخمر : « لا تلغنه إنه يحب الله ورسوله » (٢) .

فالمعاصي لاتنافي أصل الإيمان ولكن تنافي كإله فكم من محب للصحة ويأكل ما يضره .

وعلاج الإيمان يكون بالأخذ بأسباب تقويته ، فإذا قوى إيمان العبد فإنه يسهل عليه عند ذلك أن يستجيب لله عز وجل وللرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

كان الصحابة رضی الله عنهم يتعلمون الإيمان قبل القرآن ، روى الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن .

وطريقة القرآن عن تقوية الإيمان هي تكرير معاني الإيمان على القلوب والأسماع ، وانظر كيف كرر الله عز وجل وقرر لنا أمور الآخرة حتى ترتسم في القلوب وحتى لاتغيب عن العبد لحظة واحدة ، فلايقول قولاً ولايعمل عملاً إلا وهو يستحضر الإيمان بالآخرة ، فتارة يخبر الله عز وجل بها إخباراً مؤكداً كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾

(١) رواه البخارى (٣٠/١٠) الأشربة ومسلم (٤١/٢ ، ٤٢) الإيمان .

(٢) رواه البخارى (٧٥/١٤) الحدود بمعناه .

[طه : ١٥] وتارة يقسم الله عزوجل بوقوعها كما قال تعالى : ﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا ۚ فَالْحَمِيْلَتِ وِقْرًا ۚ فَالْجُرِيَّتِ يُسْرًا ۚ فَالْمَقْسِمَتِ أَمْرًا ۚ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُ ۚ [الذاريات : ١ - ٦] وتارة يأمر نبيه بالإقسام على وقوعها كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۗ [سبأ : ٣] وتارة يذم الله عز وجل المكذبين بها كما قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۗ [يونس : ٤٥] وتارة يمدح المؤمنين بها كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ [البقرة : ١٧٧] .

وتارة يخبر الله عز وجل بقرب يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ إِنْتَهُمْ يَرُونَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَزَّهَهُ قَرِيبًا ۗ [المعارج : ٦ : ٧] فلا تكاد تقلب ورقة من المصحف حتى ترى خبير الآخرة ، ولو ذكر الله ذلك في موضع واحد لكان كافياً في وجوب الإيمان بها ، ولكن القرآن يكرر ذلك على القلوب حتى يقوى الإيمان بها فيكف العبد قلبه وجوارحه عن المعاصي ويحبسها على الطاعات لأن الإيمان بالآخرة استقر في قلبه ، وكان القرآن المكي كذلك تذكرة بالآخرة ، وتقوية للإيمان بها ثم نزلت بعد ذلك الفرائض والأحكام .

عن عائشة رضی الله عنها قالت : أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار - تعنى رضی الله عنها سورة المدثر وهى ثانی سورة وفيها يقول جل وعلا : ﴿ فاذا نقر فى الناقور ﴾ وقوله عزوجل : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ كل نفس بما كسبت

رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴿ - حتى إذا
 تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل من أول الأمر
 لاتزنوا لقالوا لاندع الزنا أبدا ، ولو نزل لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع
 الخمر أبدا .

أنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
 وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ ﴾ [القمر : ٤٦] وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا
 عنده بالمدينة .

ومما روى الله عزوجل به الإيمان كذلك في قلوب الصحابة فرض
 قيام الليل في ابتداء الدعوة .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « فرض الله عزوجل
 على نبيه ﷺ قيام الليل فقام النبي ﷺ وقام الصحابة معه حولا كاملا ،
 واحتجز الله عزوجل خاتمة السورة اثنا عشر شهراً ثم نزل بعد ذلك
 التخفيف » (١) .

وإنما قصدت رضى الله عنها الأمر بقيام الليل في قوله تعالى :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلَ الْإِقْلِيلَا ﴿٢﴾ يَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ
 وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا
 وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل : ١ - ٦] .

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٦/٦) صلاة المسافرين وأحمد (٥٤/٦) وأبو داود (١٣٢٨) قيام
 الليل ، والنسائي (١٩٩/٤) قيام الليل .

وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهى قوله تعالى :
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾
[المزمّل : ٢٠] .

فعلاج ضعف الإيمان إذن إنما يكون بالتذكير بالآخرة وتلاوة القرآن الذى يتضمن أعظم التذكير وأطيبه ، وتربية الإيمان كذلك بالطاعات بالقيام والصيام وسائر القربات ، وإنما قصدت بهذه الرسالة اللطيفة أن تكون تذكرة سريعة لمن لا يتسع وقته للمصنفات الكبار ومطالعة ما صنّفه العلماء الأخيار فى سائر الأعصار ، فقد ضعفت الهمم وتقصرت الأعمار ، وتشاغل الناس بديناهم عن دار القرار ، والقلوب لا تصلح إلا بالوعظ والتذكير والتبشير والتحذير ، عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » . قالوا : وما رأيتم يارسول الله قال : « رأيت الجنة والنار »^(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير فى نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط فى فضول المباحات كان ذلك فضلا محمودا ، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضا أو موتا أو هما لازما بحيث يقطع عن السعى فى اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عزوجل لم يكن محمودا^(٢) .

(١) رواه مسلم (٤/١٥٠ ، ١٥١) الصلاة ، وأحمد (٣/١٧٠) .

(٢) التخويف من النار (١٨) - مكتبة الإيمان .

وقد أنذر الله عزوجل بالنار وأمر المؤمنين بأخذ الوقاية من التعرض لها وبين خطرها فقال تعالى : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۚ ٣٢ وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ ۚ ٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۚ ٣٤ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ۚ ٣٥ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ۚ ٣٦ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ ﴾ [المدثر : ٣٢ - ٣٧] .

قال الحسن : والله ما أنذر العباد بشيء أدهى منها .

وقال تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُمْ كُنُوزًا أَنْ تَنْغَلِقَ ۚ ﴾ [الليل : ١٤] .

وعن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار » قال وأشاح . ثم قال : « اتقوا النار » ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال : « اتقوا النار ولو بشق تمره فمن لم يجد فبكلمة طيبة » (١) .

وقال أبو الجوزاء : لو وليت من أمر الناس شيئا اتخذت منارا على الطريق وأقمت عليه رجالا ينادون في الناس النار النار .

وعن مالك بن دينار قال : لو وجدت أعوانا لناديت في منار البصرة بالليل : النار النار ثم قال : لو وجدت أعوانا لفرقتهم في منار الدنيا يأيها الناس النار النار .

وقال ابن عيينة : قال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسي في النار ، آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلاها . فقلت لنفسي : أى شيء تريدني ؟ قالت : أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا . قال : فأنت في

(١) رواه البخارى (٤٠٠/١١) الرقاق .

الأمنية فاعمل . ونحن والله في الأمنية فكل من قصر في طاعة الله عز وجل في الدنيا يطلب العودة إليها كلما عاين أمور الآخرة وترك دار العمل ولا حساب إلى دار الحساب ولا عمل . قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكُذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أُرُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ١٢] وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

ويجمع هذا قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيِتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر : ١١] .

وأترك القارئ الكريم مع هذه الرسالة يعيش في ذكر الجنة والنار وما ورد فيهما من صريح الأخبار وصحيح الآثار حيث لخصت فيها حياة الاشقياء - نعوذ بالله من حالهم ومهادهم وطعامهم وشرابهم - ثم أردفت ذلك بذكر حياة السعداء - نسأل الله من فضله العظيم وكرمه العميم .

والإيمان بالآخرة يتضمن الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله في شأنها وكل ما صحت به سنة رسول الله ﷺ وأسأل الله أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يتجاوز عن سيئاتنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النار

صفة جهنم وأهوالها وأنكأها^(١) :

قال الغزالي رحمه الله : .

يا أيها الغافل عن نفسه ، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال ، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه ، واصرف الفكر إلى موردك ، فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع ، إذ قيل ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ الْإِوَادُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١ ، ٧٢] فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساک تستعد للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيق شفعاؤها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأطلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجئت الأمم على الركب ،

(١) إحياء علوم الدين - الترغيب والترهيب للمنذرى - الزهد والرفائق لابن المبارك - حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم - البداية والنهاية لابن كثير .

حتى أشفق البراء من سوء المنقلب ، وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره في سرء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ، ويستقبلونه بعظامم التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ، ويقولون له : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك ، مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ، ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ، ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يامالك قد حق علينا الوعيد ، يامالك قد نضجت منا الجلود ، يامالك أخرجنا منها فإننا لنعود ، فتقول الزبانية : هيات لات حين أمان ، ولاخروج لكم من دار الهوان ، فاحسأوا فيها ولاتكلمون ، ولو اخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون ، فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولاينجيهم الندم ، ولاينغيهم الأسف ، بل يكون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، والنار عن أيمنهم ، والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار ، طعامهم نار ، وشرابهم نار ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسراويل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون في مضايقتها ، ويتحطمون في دركاتنا ، ويضربون بين غواشيها ، تغلى بهم النار كغلى القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به

ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم فينفجر الصديد من أفواههم ، وتنقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الحدود أحداقهم ، ويسقط من الوجنات لحومها ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون^(١) .

عمق جهنم وشدة حرها :

عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال : « إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فهوى فيها سبعين عاما ما تفضى إلى قرارها »^(٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبي ﷺ : « أتدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى إلى قعرها »^(٣) والوجبة هي صوت سقوط الشيء من مكان عال .

ولجهنم سبعة أبواب قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٤٣] ﴿ هَآسِبَعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٣] وقيل : المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤] قال : هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين .

(١) إحياء علوم الدين (٢٩٨٦ - ٢٩٨٨) .

(٢) رواه أحمد (١٧٤/٤) ، والترمذي (٤٥/١٠) ، (٤٦) صفة جهنم وصححه الألباني .

(٣) رواه مسلم (١٧٩/١٧) كتاب الجنة ، باب جهنم والوجبة هي السقطة .

وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك » (١) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله : ﴿ إِنهَاتَرْمِي بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴾ [المرسلات : ٣٢] قال : أما إني لست أقول كالشجرة ولكن كالحصون والمدائن .

وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم » قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله قال : « فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها » (٢) .

(١) رواه البخارى (٥٩٤/٨) التفسير ، مسلم (١٨٤/١٧) كتاب الجنة .
(٢) رواه البخارى (٣٣٠/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٧٩/١٧) كتاب الجنة ومالك فى الموطأ (٩٩٤/٢) جهنم ، والترمذى (٥٨/١٠) صفة جهنم .

طعام أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴾ (٦٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ ﴿ [الغاشية : ٦ ، ٧] .

الضريع نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخبائثه .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴾ (١٣) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ [المزل : ١٢ ، ١٣] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ طعاما ذا غصة ﴾ قال : شوك يأخذ بالخلق لا يدخل ولا يخرج .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَابُ الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٥٧) لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ﴿ (٥٨) فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿ (٥٩) فَشَرِبُوا مِنْهُ مِنْ الْحَمِيمِ ﴿ (٥٩) فَشَرِبُوا مِنْهُ مِنْ شَرِبَ الْهَمِيمِ ﴿ (٥٥) هَذَا نَزَلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ [الواقعة : ٥١ ، ٥٦] .

وقد وصف الله عز وجل شجرة الزقوم فقال : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ (٦٤) وَطَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿ [الصافات : ٦٤ ، ٦٨] والشوب هو الخلط والمرج أى يخلط الزقوم المتناهى فى القدارة والمرارة والحميم المتناهى فى اللهب والحرارة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبی ﷺ قرأ هذه الآية :
﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :
١٠٢] فقال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار
الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه » (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴾
[الحاقة : ٣٥ ، ٣٦] .

قال ابن عباس : الغسلين الدم والماء والصديد الذى يسيل من
لحومهم .

والتوفيق بين ما ههنا وبين قوله : ﴿ إلا من ضريع ﴾ وقوله :
﴿ من زقوم ﴾ وقوله : ﴿ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ [البقرة :
١٧٤] أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع
والمعذنين طبقات فمنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنه أكلة النار
لكل منهم جزء مقسوم .

(١) رواه الترمذى (٥٤/١٠) صفة جهنم . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (٣٠١/١) ،
٣٣٨ ، وابن ماجه (٤٣٢٥) الزهد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥١٢٦) وصححه عبدالقادر
الأرنؤوط فى تحقيق جامع الأصول .

شراب أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَنُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ
وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ
وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٦ ، ١٧] .

أى يستقى من ماء صديد شديد التناانة والكثافة فيتكرهه ولا يكاد
يبتلعه من شدة نتانته وكثافته .

قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد :
١٥] والحميم هو الماء الحار المغلى بنار جهنم يذاب بهذا الحميم ما فى
بطونهم وتسيل به أمعائهم وتتناثر جلودهم كما قال تعالى : ﴿ يُصْهَرُ بِهِ
مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢١﴾ وَهُمْ مَقَمَعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢٢﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٠ -
٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ
يَسْكَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩] .

ملابس أهل النار :

قال الله عزوجل: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠] فقلوه : ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ ﴾ أى قمصانهم من قطران تطفى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل ، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه ، والقطران قيل فيه ما يطفى به الجمل الأجرى . وعن أبى مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » (١) .

وقال الله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج : ٢٠] .

فقلوه : ﴿ قطعت ﴾ أى قدرت لهم على قدر جشتم لأن الثياب تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، وقيل إنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، والحق إجراء النظم القرآنى على ظاهره .

(١) رواه مسلم (٢٣٥/٦ ، ٢٣٦) الجنائز . وقال النووى : فيه دليل على تحريم النياحة وهو مجمع عليه وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلى الغرغرة .

عَظْمُ أَهْلِ النَّارِ وَبِشَاعَةِ مَنْظَرِهِمْ :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع »^(١) والمنكب هو الكتف . وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرس الكافر - أى ناب الكافر - مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث »^(٢) .

قال الحافظ المنذرى : وقد ورد أن من هذه الأمة من يَعْظُمُ فى النار كما يَعْظُمُ فيها الكفار ، فروى ابن ماجة والحاكم وغيرهم من حديث عبد الله بن قيس قال : كنت عند أبى بريدة ذات ليلة فدخل علينا الحارث بن أَقْنِش رضى الله عنه ، فحدثنا الحارث ليلتئذ أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر ، وإن من أمتى من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها »^(٣) .

فصل فى ذكر بعض ألوان العذاب :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بأنعم الناس يوم القيامة من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم

(١) رواه البخارى (٤١٥/١١) الرقاق ، ومسلم (١٨٦/١٧) صفة الجنة .

(٢) رواه مسلم (١٨٦/١٧) صفة الجنة والترمذى (٤٧/١٠ ، ٤٨) صفة جهنم قال النووى : هذا

كله لكونه أبلغ فى إيلامه وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به ﷺ .

(٣) رواه ابن ماجة (٤٣٢٣) صفة النار والحاكم (٧/١) وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه

الذهبى وقال المنذرى وإسناده جيد وصححه الألبانى .

هل رأيت خيرا قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب .
ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة
فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟
فيقول : لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط «^(١)
وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من
صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعا أقرعا له
زبيبتان يأخذ بلهزمتيه فيقول : أنا مالك أنا كنزك »^(٢) ، واللهزمة عظم
ناتئ في اللحي ، وفي رواية : « يفر منه ويتبعه ، ويتقى منه فليقم يده ثم
يطوقه » وقرأ هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ
فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
[آل عمران : ١٨٠] .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن
أهون أهل النار عذابا رجل في أحمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما
يغلى الرجل بالقمم »^(٣) .

وعن الحسن البصرى في قوله تعالى : ﴿ كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ
بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] قال : تأكلهم
النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم : « عودوا » فيعودون
كما كانوا .

(١) رواه مسلم (١٤٩/١٧) صفة القيامة ، وابن ماجه (٤٣٢١) صفة النار قال ابن الأثير : فيصبغ :

أى يغمس في النار أو الجنة غمسة كأنه يدخل إليها إدخالا واحدة .

(٢) رواه البخارى (٢٦٨/٣) الزكاة .

(٣) رواه البخارى (٤١٧/١١) الرقاق : ومسلم (٨٥/٣ ، ٨٦) الإيمان ، والترمذى (٢٧٤٤) صفة

عذاب أهل النار المعنوى :

من عذاب أهل النار المعنوى أن الملائكة تبتكهم قبل أن يدخلوا منازلهم فى النار كما قال تعالى : ﴿ كَلَّمَ الْقِيَّ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [٨] قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿ [الملك :

. [٩ ، ٨]

ومن عذابهم المعنوى : أنهم يلعن بعضهم بعضا ويسب بعضهم بعضا قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف : ٣٨] ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون : ﴿ لَوَأْتَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] .

ومن عذابهم المعنوى أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزؤون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضى والرضوان ونجوا من غضب الملك الديان كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْرَى رِجَالًا لَا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾ [٦٣] أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿ [ص : ٦٢ ، ٦٣]

ومن عذابهم المعنوى كذلك أنهم يمنعون من الكلام قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عزوجل فى أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا ، يقولون : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْتِنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [غافر : ١١] فيقول الله تعالى مجيبا لهم : ﴿ ذَلِكَ كُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ

وَأِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿﴾ [غافر : ١٢] ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ [السجدة : ١٢] فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٤] فيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر : ٣٧] فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذِكُرْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧] ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ، ١٠٧] فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُوهَا ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] فلا يتكلموا بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب .

قال مالك بن أنس : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَاءٍ أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم : ٢١] قال : صبروا مائة سنة ، ثم جزعوا مائة سنة ، ثم صبروا مائة سنة ، ثم قالوا : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَاءٍ أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ وعن ابن عمر رضی الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِالْمُوتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ ، فَيَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ » (١) .

(١) رواه البخارى (٤١٥/١١) الرقاق : صفة الجنة والنار ، ومسلم (١٨٦/١٧) صفة الجنة .

قال ابن الأثير : الأملح : المختلط البياض والسواد .

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها
ومحنها وحسرتها لانهاية له ، وأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة
العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه ، مع علمهم
بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك
إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية كانت
مكدرة منغصة ، فيقولون في أنفسهم : واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا
بعضيان ربنا ، وكيف لم نكف أنفسنا الصبر أياما قلائل ، ولو صبرنا
لكانت انقطعت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين
بالرضا والرضوان ، فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم
ييق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ، واعلم أن الله تعالى خلق النار
بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون ، وأن هذا أمر قد قضى
وفرغ منه قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي
غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] ولعمري الإشارة به إلى يوم
القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء ،
فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتنشغل بمحقرات الدنيا ولست
تدرى أن القضاء بماذا سبق في حقلك ، فإن قلت فليت شعري ماذا
موردى ؟ وإلى ماذا مآلى ومرجعى ؟ وما الذى سبق به القضاء في حقى ؟
فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها ، وهى أن تنظر إلى
أحوالك وأعمالك فإن كُلاً ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل
الخير فأبشر فإنك مبعثد عن النار ، وإن كنت لاتقصد خيراً إلا وتحيط بك
العوائق فتدفعك ، ولاتقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى

عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة الدخان على النار ، قال الله
تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ [الانفطار :
١٣ ، ١٤] فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين
والله أعلم .

الجنة

صفة الجنة وأصناف نعيمها :

قال الغزالي رحمه الله ما ملخصه :

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها ، فإن من بُعد من أحدهما استقر لآماله في الأخرى ، فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم ، واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم لأهل الجنان ، وسق نفسك بسوط الخوف وقُدّها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم ، فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم ، فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمير والعسل ، ومحفوفة بالغللمان والولدان مزينة بالخور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان ، آمانات من الهرم مقصورات في الخيام ، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، في مقام أمين في جنات وعميون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم ، لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع

التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فيما اشتهدت أنفسهم خالدون ، لا يخافون فيها ولا يجزنون وهم من ريب المنون آمنون ، فهم يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا ، قيا عجا ممن يؤمن بدار هذه صفتها ، ويوقن بأنه لا يموت أهلها ، ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ، ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويهنأ بعيش دونها ، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته - كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متمتعون ، لهم فيها ما يشتهون وهم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون ، وينالون بالنظر إلى وجه الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعم الجنان ولا يلتفتون ، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون . عن ألى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ينادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا » فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) [الأعراف :

. [٤٣

(١) إحياء علوم الدين (٢٩٩٧ - ٢٩٩٩) باختصار وتصرف والحديث رواه مسلم (١٧٥/١٧) الجنة وصفة نعمها ، والترمذى (١٢٤/١٢ ، ١٢٥) التفسير .

فصل : في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها :

عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عزوجل : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » مصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) [السجدة : ١٧] .

وثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء ، فليس العسل كالعسل ، وليس الخمر كالخمر وليس العنب كالعنب .

ومهما قرأت في وصف نعيمها وخطر نعيمها ببالك من متاعها وعجائبها فهي أعجب مما قرأت وأطيب مما خطر على قلبك ، وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » ^(٢) .

(١) رواه البخارى (٣١٨/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٧/١٦٦) الجنة وصفة نعيمها ، وابن ماجه (٤٣٢٨) الزهد .

(٢) رواه البخارى (٣٢٠/٦) بدء الخلق ، ورواه مسلم بلفظ « لغدوة في سبيل الله أو روحه » (٢٦/١٣) الإمارة ، والترمذى (١٥٥/٧) الجهاد .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وكيف يقدر قدر دار خلقها الله بيده وجعلها مقرا لأحبابه وملاها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير ، وأودعها الخير بخذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن وإن سألت عن ملاحظها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبتها فهو اللؤلؤ والجوهر ، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب أو فضة لا من الحطب والخشب ، وإن سألت عن ثمارها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل ، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق اللؤلؤ ، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى .

فصل في بيان صفة أبواب الجنة ودرجاتها وأبوابها :

أبواب الجنة :

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون »^(١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها ، وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد » فقال أبو بكر رضى الله عنه : والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال : « نعم وأرجو أن تكون منهم »^(٢) .

(١) رواه البخارى (٣٢٨/٦) بدء الخلق ، ومسلم (٣٢/٨) الصيام بلفظ « في الجنة باب يقال له الريان » .

(٢) رواه البخارى (١٩/٧) فضائل الصحابة ، ومسلم (١١٥/٧ ، ١١٦) الزكاة ، ومالك (٤٦٩/٢) الجهاد ، والنسائى (٢٢/٦ ، ٢٣) الجهاد .

درجات الجنة :

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع والله أعلم ، والحديث له لفظان هذا أحدهما والثاني « وإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله »^(١) وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح هذا اللفظ وهو لاينفى أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح : « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »^(٢) .

أى من جملة أسمائه هذا القدر فيكون الكلام جملة واحدة في الموضوعين ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد . والجنة مقببة أعلاها وأوسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة »^(٣) كما أفاده ابن كثير رحمه الله .

(١) رواه البخارى (١١/٦) ، ومسلم (٢٨/١٣) الإمامة ، والترمذى (٨/١٠) صفة الجنة ، وابن ماجه (٤٣٣١) الزهد .

(٢) رواه البخارى (٢١٤/١١) الدعوات بمعناه ، ومسلم (٥/١٧) ، ٦) الذكر والدعاء ورواه الترمذى وفيه زيادة ذكر الأسماء .

(٣) جزء من الحديث قبل السابق .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراؤن الغرف كما يتراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » (١) .

أبنية الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّكَفَرُوا بِهِمْ لَهُمْ عَرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عَرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ [الزمر : ٢٠] فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة ؛ لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء .

وعن أبى موسى الأشعري عن النبى ﷺ قال : « إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فيها أهلون ويطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » (٢) .

وعن أبى هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبى ﷺ : « هذه خديجة أقرئها السلام من ربها ، وأمره أن يشرها بيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب » (٣) والقصب هاهنا قصب اللؤلؤ المجوف ، قيل لأنها حازت قصب السبق فى التصديق برسول الله ﷺ فكان جزاؤها

(١) رواه البخارى (٤١٦/١١) الرقاق ، و(٣٢٠/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٦٩/١٧) الجنة وصفة نعيمها ، والترمذى (٢١/١٠) صفة الجنة .

(٢) رواه البخارى (٣١٨/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٧٥/١٧) الجنة وصفة نعيمها ، والترمذى (٦/١٠) صفة الجنة .

(٣) رواه البخارى (١٣٣/٧) مناقب الأنصار ، ومسلم (١٩٩/١٥) الفضائل والمراد بالبيت هنا القصر ، والصخب الصوت المختلط المرتفع ، والنصب المشقة والتعب .

قصرًا من قصب ، وعن أنس أن النبي ﷺ قال « أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من قريش فظننت أنى أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب » (١) .

طعام أهل الجنة :

قال تعالى : ﴿ وَفَكَهْهٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَحْرِطِيمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ [الواقعة : ٢٠ ، ٢١] .

أما فاكهة الجنة فقد قال تعالى في وصفها : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] .

قال ابن جرير رحمه الله : ﴿ كلما رزقوا ﴾ من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا ، وقيل كذلك ﴿ رزقنا من قبل ﴾ أى فى الجنة لتعدد الأصناف وتشابهها فى الظاهر ، قوله : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] قال الحسن : خيار كله لارذل ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه . وقال تعالى : ﴿ وَفَكَهْهٍ كَثِيرَةٍ ﴾ ﴿٢٢﴾ لَأَمَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ [الواقعة : ٣٣] أى لا تكون فى وقت دون

(١) رواه البخارى (٣١٨/٦) بدء الخلق . ومسلم بمعناه (١٦٣/١٥) الفضائل بمعناه عن جابر رضى الله عنه .

وقت ولا تمنع من أرادها ، وقال تعالى : ﴿ وَدَائِبَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] قال ابن عباس : إذا همَّ أن يتناول من ثمرها تدلت له حتى يتناول ما يريد .

عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ : ما الكوثر قال : « ذاك نهر أعطانيه الله (يعنى فى الجنة) أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيها طير أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ : « أكلتها أحسن منها » (١) .

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسييح والتكبير كما تلهمون النفس » (٢) .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاءه خبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال : فمن أول إجازة ؟ يعنى على الصراط فقال : « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد الحوت » قال فما غذاؤهم على أثرها ، قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسيلا » فقال : صدقت (٣) .

(١) رواه الترمذى (١٢/١٠) صفة الجنة وقال الألبانى : حسن

صحيح .

(٢) رواه مسلم (١٧/١٧٤) الجنة وصفة نعيمها .

(٣) رواه مسلم (٣/٢٢٦ ، ٢٢٧) الحوض بزيادة فى أوله وآخره والبغوى فى شرح السنة (١٥/٢٢٤) ،

٢٢٥) الفتن قوله : « زيادة كبد الحوت » الزيادة هى طرف الكبد وأطبيها .

شراب أهل الجنة :

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۗ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان : ٥ ، ٦] .

والكأس هو الإناء الذى فيه الشراب ، ويطلق كذلك على نفس الخمر كما قال بعضهم : .

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها قوله : ﴿ كان مزاجها كافورا ﴾ أى يخالطها وتمزج به قال مقاتل ليس هو كافور الدنيا وإنما سمي ما عنده بما عندهم حتى تهتدى له القلوب قوله : ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ أى يجرونها إلى حيث يريدون ويتفجعون بها كما يشاءون .

وقال تعالى : ﴿ وَسُقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ [الإنسان ١٧] أى كأسا من خمر ممزوجة بالزنجبيل ، وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته .

وقال تعالى : ﴿ وَسَقَّوهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] والمعنى أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا ، قال أبو قلابة وإبراهيم النخعي : يؤتون بالطعام فإذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور

فتضمّر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك . وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : « نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع » قال : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى قال : « تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمّر بطنه » (١) .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ خِتْمُهُ مِسْكٌ ﴾ [المطففين : ٢٦] قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شراهم . لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ﴿ وَمِنْ أَجْهُدٍ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴿ [المطففين : ٢٧ ، ٢٨] . قال : يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفا .

(١) رواه أحمد (٣٦٧/٤) والنسائى فى الكبرى : التفسير (رقم ٤٩٨) تحفة الاشراف (٣ / ١٩١) وقال المنذرى : رواه محتج بهم فى الصحيح - الترغيب والترهيب (٦ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) . وقال الهيثمى : ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٦) .

ثياب أهل الجنة :

قال تعالى : ﴿ يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر : ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ [الكهف : ٣١] .

قال جماعة من المفسرين : السندس : ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه . وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان : الأخضر وألين اللباس الحرير فجمع بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به ، وفي حديث البراء بن عازب قال : أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله ﷺ : « تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا »^(١) .

أى أن المنديل الذى يمسح به يديه فى الجنة أحسن من حبل الملوك .

(١) رواه البخارى (٣١٩/٦) بدء الخلق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (١) .

وعن زهير بن حرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » (٢) .

صفة أهل الجنة :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة جرذا مردا كأنهم مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين » (٣) .

قوله : « جردا » أى بدون شعر على أجسادهم وقوله : « مردا » بدون لحية .

وفى حديث أى هريرة : « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا » (٤) .

وعن أى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على صورة أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب وورشحهم المسك ومجامرهم الألوة أزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء » (٥) .

(١) رواه مسلم (١٤٠/٣) الطهارة ، والنسائى (٩٣/١) الطهارة .

(٢) رواه مسلم (١٧٤/١٧) الجنة وصفة نعيمها .

(٣) رواه الترمذى (١٤/١٠) صفة الجنة وقال : حسن غريب ، وحسنه الألبانى .

(٤) رواه مسلم (١٧٢/١٧) الجنة وصفة نعيمها .

(٥) رواه البخارى (٣١٩/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٧٢/١٧ ، ١٧٣) الجنة وصفة نعيمها . والألوة :

العود الهندى .

وأما الأخلاق فقد قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ
إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر ٤٧] .

فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم وفي حديث الصحيحين
« لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون
الله بكرة وعشية »^(١) .

أدنى أهل الجنة منزلة :

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « إن موسى
عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل قد يجيء
بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له : أدخل الجنة . فيقول : رب
كيف وقد نزلت الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى
أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ،
فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة : رضيت رب ،
فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتيت نفسك ولذت عينك
فيقول : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة . قال : أولئك الذين
أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع
أذن ولم يخطر على قلب بشر »^(٢) .

(١) رواه البخارى (١٣٨/٦) بدء الخلق ، مسلم (١٧٣/١٧) الجنة وصفة نعيمها وهو رواية للحديث

السابق .

(٢) رواه البخارى بمعناه مختصرا (٤١٩/١١) الرقاق ، ومسلم (٤٥/٢) الإيمان .

نساء الجنة :

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

قال ابن القيم ما ملخصه :

جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه والأزواج المطهرة هى التى طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قدر وكل أذى يكون من نساء الدنيا وطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المدمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمع به إلى غير زوجها .

وقال تعالى : ﴿ وَزَوْجَنَّهُمْ مَحْجُورَاتٍ ﴾ [الدخان : ٥٤]
والحور جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال مجاهد : الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِنْرَابِ ﴾ [ص : ٥٢] أى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقوله : ﴿ أتراب ﴾ قال ابن عباس وسائر المفسرين : مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »^(١) والنصيف هو الخمار أى غطاء الرأس .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والى يلىها على أضوء كوكب درى فى السماء ولكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب »^(٢) .

(١) رواه البخارى (١٥/٦) الجهاد ، والترمذى (١٥٥/٨) الجهاد .

(٢) تقدم تخريجه (ص : ٤١) .

النظر إلى وجه الله عز وجل :

قال الله تعالى : ﴿ وَجْهُ يَوْمَ ذُنُورٍ ﴾ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّهَا نَظَرَةٌ ﴿١٢﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس :

٢٦] وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل والحسنى هي الجنة .
عن صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه . قالوا : ما هذا الموعد ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ويبيض وجوهنا ؟ ويدخلن الجنة ويخرجن من النار ؟ قال : فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه »^(١) وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمة وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لانسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء .

(١) رواه مسلم (١٧/٣) الإيمان .

شعر : يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في وصف الجنة :

وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرَةٌ أَنْ يَنَالَهَا
وإن حُجِبَتْ عَنَّا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
فَلِلَّهِ مَا فِي حَشْوِهَا مِنْ مَسْرَةٍ
وَلِلَّهِ بَرْدُ الْعَيْشِ بَيْنَ خِيَامِهَا
وَلِلَّهِ وَادِيهَا الَّذِي هُوَ مَوْعِدُ الْمَرْ
وَلِلَّهِ أَبْصَارًا تَرَى اللَّهُ جَهْرَةً
فِيهَا نَظْرَةٌ أَهْدَتْ إِلَى الْوَجْهِ نَضْرَةً
وَلِلَّهِ كَمٌّ مِنْ خَيْرِهِ إِنْ تَبَسَّمْتَ
فِيهَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ إِنْ أَقْبَلْتَ
وَيَا حَجَلَةَ الْعُصْنِ الرَّطِيبِ إِذَا تَنَتَتْ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيلٍ بِحُبِّهَا
إِذَا قَابَلْتَ جَيْشَ الْهُمُومِ بِوَجْهِهَا
فَيَا حَاطِبَ الْحَسَنَاءِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبًا
وَكُنْ مُبْغِضًا لِلْحَائِنَاتِ لِحُبِّهَا
وَصُمْ يَوْمَكَ الْأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ
وَأَقْدِمْ وَلَا تَفْتَنُ بِعَيْشٍ مُنْعَصٍ
وَإِنْ ضَاوَقْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا
حَتَّى عَلَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
وَحَى عَلَى السُّوقِ الَّذِي فِيهِ يَلْتَقَى
فَمَا شِئْتَ تُحْذِ مِنْهُ بِلَا تَمَنِّي لَهُ

سِوَى كُفْعِهَا وَالرَّبُّ بِالْحَلْقِ أَغْلَمُ
وَحُفَّتْ بِمَا يُؤْذِي النَّفُوسَ وَيُؤْلِمُ
وَأَصْنَافٍ لَذَاتٍ بِهَا يَتَنَعَّمُ
وَرَوْضَاتِهَا وَالتَّعْرِفَى الرَّوْضِ يَبَسِّمُ
يَدٍ لَوْفِدِ الْحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ
فَلَا الضَّيْمُ يَعْشَاهَا وَلَا هِيَ تَسَامُ
أَمِنْ بَعْدَهَا يَسْلُو الْمُحِبُّ الْمُتَيْمُّ
أَضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الْفَجْرِ أَعْظَمُ
وَيَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ حِينَ تَكَلَّمُ
وَيَا حَجَلَةَ الْفَجْرَيْنِ حِينَ تَبَسَّمُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَصَلُهَا لَكَ مَرْهَمُ
تَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِهِ الْجَيْشُ يُهْزَمُ
فَهَذَا زَمَانُ الْمَهْرِ فَهَوَ الْمُقَدَّمُ
فَتَحْطَى بِهَا مِنْ دُونِهِمْ وَتُنْعَمُ
تَفُوزُ بِعِيدِ الْفِطْرِ وَالتَّاسُ صَوْمُ
فَمَا فَازَ بِاللذَاتِ مَنْ لَيْسَ يُقَدِّمُ
وَلَمْ يَكْ فِيهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ
مَنَازِلُنَا الْأُولَى وَفِيهَا الْمُحَيِّمُ
الْمُحِبُّونَ ذَاكَ السُّوقُ لِلْقَوْمِ يُعْلَمُ
فَقَدْ أَسْلَفَ التَّجَارُ فِيهِ وَأَسْلَمُوا

زِيَادَةُ رَبِّ الْعَرْشِ فَالْيَوْمَ مَوْسِمٌ
وَتُرْبَتُهُ مِنْ أَذْفَرِ الْمِسْكِ أَعْظَمُ
وَمِنْ خَالِصِ الْعَقِيَانِ لَا يَتَقَسَّمُ
لِمَنْ دُونَ أَصْحَابِ الْمَنَابِرِ يُعَلَّمُ
وَأَرْزَاقُهُمْ تُجْرَى عَلَيْهِمْ وَتُقَسَّمُ
بِأَقْطَارِهَا الْجَنَّاتُ لَا يُتَوَهَّأُ
فَيَضْحَكُ فَوْقَ الْعَرْشِ ثُمَّ يُكَلِّمُ
بِأَذَانِهِمْ تَسْلِيمَةً إِذْ يُسَلَّمُ
ثُرِيدُونَ عِنْدِي إِنِّي أَنَا أَرْحَمُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتَرْحَمُ
عَلَيْهِ تَعَالَى اللَّهُ أَكْرَمُ
كَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بَلَى سَوْفَ تَعْلَمُ
وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ

وَحَى عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ الَّذِي بِهِ
وَحَى عَلَى وَاذِ هُنَالِكَ أَفْجَحُ
مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ هُنَالِكَ وَفِضَّةٌ
وَكُتُبَانُ مِسْكِ قَدْ جُعِلْنَ مَقَاعِدًا
فَبَيْنَا هُمُو فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
إِذَا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ أَشْرَقَتْ لَهُ
تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ جَهْرَةً
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَسْمَعُونَ جَمِيعُهُمْ
يَقُولُ سَلُونِي مَا اشْتَهَيْتُمْ فَكُلُّ مَا
فَقَالُوا جَمِيعًا نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَا
فَيُعْطِيهِمُوا هَذَا وَيَشْهَدُ جَمْعُهُمْ
فَيَا بَائِعًا هَذَا بِبَحْسٍ مُعْجَلٍ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ